

شرح أصول الكافي

[346] أن للجبال نفوسا (1) نفوسا مذكورة حين الخطاب بعيد على أن الثاني لا ينافي

القول بوجود النفوس لها وإلا أعلم، (فضريت السفينة بجؤ جؤها الجبل) في الجبل للعهد إشارة إلى الجبل الذي هو الجودي. والجؤ جؤ كهدهد الصدر (قال فطننت أن أبا الحسن (عليه السلام) عرض بنفسه) التعريض توجيه كلام إلى جانب وإرادة جانب آخر لم تذكره فالتعريض خلاف التصريح وهو (عليه السلام) أشار إلى تواضع الجودي، وما بلغه من تواضعه وأراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها في ذبح الشاة فإن في ذبحها من إظهار العجز والإفتقار ما ليس في ذبح البدنة. * الأصل 13 - عنه، عن عدة من أصحابه، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: قال: التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه. 1 - قوله " على أن للجبال نفوسا " الذي هدى

الناس إلى وجود النفوس ودعاهم إلى القول به في النبات والحيوان مشاهده أمور فيها لا يمكن أن ينسب إلى الطبيعة أي الصورة النوعية التي وجدوا مثلها في الجمادات لعدم كونها على نهج واحد فالشجر ينمو ويتفرع من أصله الأغصان والأوراق وفي كل واحد عروق كثيرة دقيقة وجليظه وله خشب وجلد وأزهار وثمار وبالجمله له آلات مختلفة متشعبة لاعلى نهج واحد لأفعال ووظائف مختلفة متجهة إلى مقصد واحد هو مصلحة الجملة والجمادات يترتب عليها آثار على نهج واحد ولو ضم جماد إلى جماد لم يتوجها إلى مقصد واحد في آثارهما ولم يعمل كل لمصلحة الآخر كما نرى في أعضاء النبات وآلاتها، بل يعمل كل المصلحة أفراد آخر كالات التناسل في الزهر والبذر لحفظ النوع قالوا فيوجد في النبات شئ هو مبدء لامور لا يوجد مثلها في الجماد وسموه نفسا وكذلك الحيوان والإنسان، وأما الأفلاك فأروا فيها حركة مستديرة وإن لم يروا فيها ما في النبات الحيوان من الآلات المختلفة فأثبتوا لها أيضا نفوسا إذ لا يمكن نسبة حركة مستديرة إلى طبيعة جمادية مثل من يرى رحي يدور بنفسه من غير أن يرى له مديرا من ماء وهواء وغيرهما ينسب دورانه قهرا إلى جنأ وملك أي إلى موجود حي غائب له إرادة، وأما الجبال فلم يروا فيها ما يستدل به على وجود النفس إذا رأوها كساير الجمادات. ولكن عدم الآثار والشواهد لا يدل على عدم النفس. وإنما الدلالة في الوجود فقط، مثلا وجود الدخان دليل وجود النار أما عدم الدخان فلا يدل على عدم النار، وعدم مشاهدة آثار النفس في الجبال لا يدل على عدم وجود موجود حي مدبر للجبال نظير تدبير نفس الشجر للشجر. نعم يمكن أن يضيق في إطلاق اسم النفس عليه ولكنه أمر إصطلاحي أو لغوي يمكن أن يتخلص عنه بأن يسمى شيئا آخر حتى لا يكون غلطا لغويا والعمدة إثبات وجود مدبر قاهر حي مريد لتدبير كل شئ،

وإصطلاح الحكماء على أن يسموا مثله عقلا ولعل الملائكة الموكلين باجبال والرياح والامطار والرعد والبرق وغيرهما على ما أشير إليه في قوله تعالى " والمدبرات أمرا " هذه الموجودات الحية العاقلة المدبرة المسماة بالعقول والـ أعلم بالحقيقة والغرض رفع الإستبعاد عن كلام الشارح وإثباته النفس للجبـال. (ش) (*)
